
الأمانة العامة
المقدسة
الوارث
٥٣
توزع مجاناً
جمادى الثانية - رجب ١٤٣٤هـ
أيار ٢٠١٣م
مجلة شهرية دينية ثقافية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة
السلام عليك أيتها البعيدة عن الآفاق
السلام عليك أيتها الاسيرة في البلدان



الوارث

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
-وزارة الثقافة لسنة ١٢١١:٢٠٠٩

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org



كلمة العدد

إنّها زينة أبيها

يتفاخر الآباء حينما يجدون أن أحد أبنائهم قد سلك طريق الكمال وبلغ مراتبه السامية، فهم في ذلك يدركون انهم قد وجدوا ذواتهم في هذا الامتداد الشخصي.

ويفتخر الاباء أكثر حينما يكون بعضهم قد نال من البدء هذه المراتب فيلتمس نموها وتجددها في أبنائهم فهم بذلك يشعرون بأنهم كانوا الأنموذج الأمثل للأبوة مما يجعلهم سعداء بهذا الانجاز.

ولكن... حينما يكون الأب في قمة مراتب الكمال ودون ذروته برتبة فحينها يكاد يكون منال الابناء لبلوغ هذا السمو في الرتبة عسيراً جدا.

لكن هذا لا يعني المحال، فان تعسر في الغالب الأعم لدى الابناء فهو متحقق في بيت علي بن أبي طالب عليهما السلام.

فعلي دون ذروة الكمال لسيد الكمال محمد صلى الله عليه وآله وسلم برتبة حيث (لا نبي من بعدي..) ومن ثم؛ فمن يستطيع بلوغ رتبته ومن يصل الى درجته من أبنائه؟

فان قيل الحسن والحسين صلوات الله عليهما قلنا ومن يباريهما وهما ثمرة النبوة ومعدن الرسالة سبقتهما الألطاف الإلهية وأحاطت بهما العناية الربانية فكانا حجج الله على خلقه.

ولكن السؤال من أبناء علي كان زينة لعلي عليه السلام حينما نستثني الحسن والحسين عليهما السلام؟

والجواب: انها زينب، وهو سر تسمية رسول الله لها حينما ولدت؛ فمعنى زينب هو: زينة الأب فحذفت التاء والألف واللام اختصاراً وأدمج اللفظان فقيل: زينب، فمن مثل زينب وهي زينة أبيها علي بن أبي طالب عليهما السلام ومَن مِنَ الآباء له بنت كالعقيلة زينب عليها السلام وحق لعلي عليه السلام ان يتزين بيت الرسالة بعقيلة فمن الاباء له بنت كزينب؟

رئيس التحرير

ما رواه الإمام الحسين عليه السلام عن النبـــي الأكرم صلى الله عليه وآله وسـلم

الحلقة الثانية



رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي عليهما السلام قال:

«إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَصْبَحَ وَهُوَ مَهْمُومٌ».

فقيل: مالك يا رسول الله؟ فقال: «إني أريت في المنام كأنّ بني أميّة يتعاورون منبري هذا».

فقيل: يا رسول الله! لا تهتمّ فإنّها دنيا تنالهم، فأنزل الله تبارك وتعالى:

((وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا))[١].

إقرار الضبّ لنبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

عن علي بن الحسن بن محمد، عن الحسين بن علي بن عبد الله الموسوي القاضي، عن محمد بن الحسين بن حفص، عن علي بن المثنى، عن جرير بن عبد الحميد الضبي، عن الأعمش، عن إبراهيم ابن يزيد السّمان، عن أبيه، عن الحسين بن علي عليهما السلام قال:

«دَخَلَ أَعْرابِيٌّ عَلى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُريدُ الإِسْلامَ وَمَعَهُ ضَبٌّ قَدْ اصْطادَهُ فِي الْبَرِيَّةِ وَجَعَلَهُ فِي كُمِّهِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ الإِسْلامَ».

فقال: لا أؤمن بك يا محمد أو يؤمن بك هذا الضب.

«وَرَمِيَ الضَّبَّ مِنْ كُمِّهِ، فَخَرَجَ الضَّبُّ مِنَ الْمَسْجِدِ يَهْرُبُ».

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «يا ضبّ من أنا؟».

قال: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

قال: «يا ضبّ من تعبد؟».

قال: أعبد الله الذي فلق الحبّة وبرئ النّسمة، واتّخذ إبراهيم خليلاً، وناجى موسى كليماً، واصطفاك يا محمّد.

فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله حقّاً؛ فأخبرني يا رسول الله هل يكون بعدك نبيّ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا، أنا خاتم النبيّن، ولكن يكون بعدي أئمة من ذرّيتي قوّامون بالقسط كعدد نقباء بني إسرائيل، أوّلهم علي بن أبي طالب فهو الإمام والخليفة بعدي، وتسعة من الأئمة من صلب هذا - وَوَضَعَ يَدَهُ عَلى صَدْرِي - والقائم تاسعهم، يقوم بالدّين في آخر الزمان كما قمت في أوّله».

قال: فأنشأ الأعرابي يقول:

ألا يا رسول الله إنّك صادق
فبوركت مهديّاً وبوركت هادياً
شرعت لنا الدين الحنيفي بعدما
غدونا كأمثال الحمير الطواغيا
فيا خير مبعوث ويا خير مرسل
إلى الأنس ثمّ الجن لبّيك داعيا
فبوركت في الأقوام حيّا وميتاً
وبوركت مولوداً وبوركت ناشيا

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أخا بني سليم هل لك مال؟»، فقال: والذي أكرمك بالنبوة وخصّك بالرسالة إنّ أربعة آلاف بيت من بني سليم ما فيهم أفقر منّي.

فَحَمَلَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ عَلى ناقَةٍ، فَرَجَعَ إلى قَوْمِه، فَأَخْبَرَهُمْ بِذلِكَ، قالوا: فأسلم الأعرابيّ طمعاً في الناقة، فبقي يومه في الصفّة لم يأكل شيئاً، فلما كان من الغد تقدّم إلى رسول الله صلى



الله عليه وآله وسلم فقال:

يا أيّها المرء الذي لا نعدمه
أنت رسول الله حقاً نعلمه
ودينك الإسلام ديناً نعظمه
نبغي من الإسلام شيئاً نقضمه
قد جئت بالحقّ وشيئا نطعمه

«فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ وَقالَ: يا علي أعط الأعرابي حاجته، فَحَمَلَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إلى مَنْزِلِ فاطِمَةَ وَأَشْبَعَهُ، وَأَعْطاهُ ناقَةً وَجُلَّةَ تَمْرٍ».

دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الأكل والشرب

دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الأكل والشرب

عن أبي الحسن محمد بن علي بن الشاه الفقيه المروزي بمرو الرود في داره، قال: حدّثنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله النيسابوري، قال: حدّثنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عامل بن سليمان الطائي بالبصرة، قال: حدّثنا أبي في سنة ستين ومائتين، قال: حدثني علي بن موسى الرضا عليه السلام سنة أربع وتسعين ومائة، قال:

«حدثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدثني أبي علي ابن الحسين، قال: حدّثني أبي الحسين بن علي عليهم أفضل الصلاة والسلام:

كانَ النَّبِيُّ صَلّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا أَكَلَ طَعاماً يَقُولُ: اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا فيهِ وَارْزُقْنا خَيْراً مِنْهُ.

وَإذا أَكَلَ لَبَناً أَوْ شَرِبَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا فيهِ وَارْزُقْنا مِنْهُ».

كيفيّة دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الابتهال

عن أبي المفضّل، عن إبراهيم بن حفص ابن عمر العسكريّ بالمصيّصة من أصل كتابه، عن عبد الله بن الهيثم الأنماطيّ، عن الحسين بن علوان الكلبيّ، عن عمرو ابن خالد الواسطيّ، عن محمّد، وزيد ابني عليّ، عن أبيهما عليه السلام عن أبيه الحسين عليه السلام قال:

«كانَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إذا ابْتَهَلَ وَدَعا كَما يَسْتَطْعِمُ الْمِسْكينُ».

كلمات الإمام الحسين عليه السلام في أهل البيت عليهم السلام

عدم تحمّل الناس فضائل أهل البيت عليهم السلام

قال الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن النيسابوري، والشيخ محمد بن علي بن عبد الصمد، عن الشيخ أبي الحسن بن عبد الصمد التميمي، حدّثنا أبو محمد أحمد بن محمد بن محمد العمري، حدّثنا أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن الصفار، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن علي بن الحكم، عن عبد الرحمان بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«أتى الحسين عليه السلام أناس فقالوا له: يا أبا عبد الله حدّثنا بفضلكم الذي جعل الله لكم، فقال:

إِنَّكُمْ لا تَحْتَمِلُونَهُ وَلاَ تُطيقُونَهُ.

قالوا: بلى نحتمل.

قال: إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ فَلْيَتَنَحَّ إثْنانِ وَاحَدِّثُ واحِداً، فَإِنْ إحْتَمَلَهُ حَدَّثْتُكُمْ.

فتنحّى اثنان وحدّث واحداً، فقام طائر العقل، ومرّ على وجهه وذهب، فكلّمه صاحباه فلم يردّ عليهما شيئاً وانصرفوا».

وقال عليه السلام: «أتى رجل الحسين بن علي عليهما السلام فقال: حدّثني بفضلكم الذي جعل الله لكم، قال عليه السلام:

«إِنَّكَ لَنْ تُطيقَ حَمْلَهُ».

قال: بلى حدّثني يا بن رسول الله إني احتمله، فحدّثه بحديث، فما فرغ الحسين عليه السلام من حديثه حتّى ابيضّ رأس الرجل ولحيته، وانسي الحديث.

فقال الحسين عليه السلام:

«أَدْرَكَتْهُ رَحْمَةُ اللهِ حَيْثُ أَنْسَي الْحَديثَ».

وروى عبد العزيز بن كثير: إنّ قوماً أتوا إلى الحسين عليه السلام وقالوا: حدّثنا بفضائلكم، قال عليه السلام:

«لاَ تُطيقُونَ، وَانْحازُوا عَنّي لأسيرَ إلى بَعْضِكُمْ، فَإنْ أطاقَ سَأحَدِّثُكُمْ».

فتباعدوا عنه، فكان يتكلّم مع أحدهم حتى دهش ووله وجعل يهيم ولا يجيب أحداً وانصرفوا عنه.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

المصدر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٥٧٥ ـ ٥٨١.



قد جاءكم من اللّه نور وكتاب مبين

لماذا القرآن الكريم؟

أول سؤال يطرح علينا هو عن السبب الذي نعود من أجله إلى القرآن الحكيم.

والواقع أن هناك عدة أسباب تفرض علينا العودة إلى القرآن والتدبر فيه.

١. لكل منا رغباته المشروعة التي يتمنى أن يجد سبيلاً مستقيماً إليها، والقرآن الحكيم ذلك السبيل المستقيم المؤدي إلى تحقيق مصالح كل شخص ورغباته.

وليست أهمية القرآن وعظمته منحصرة في أنه يحقق للناس رغباتهم المشروعة، ويهديهم إلى سبل السلام المؤدية إلى مصالحهم، بل الأهم من ذلك أنه يرسي قواعد للشخصية المتكاملة التي تستطيع بلوغ مآربها المشروعة بسهولة بالغة.

٢. ومصالح الإنسان بدورها ليست سوى بعض تطلعاته الكبيرة، أما البعض الآخر فيكمن في بحث الإنسان الدائب عن الحق والخير، وسعيه المستمر لتحقيقهما.

إن الإنسان يبتغي إرساء دعائم الحق، كما يريد الوصول إلى المصالح، وأهم ما يصبو إليه هو التوفيق بين هدفيه هذين: تحقيق الحق، ووصول المصلحة!

والقرآن هو ذلك الحق الذي يبتغيه البشر ويسعى نحو معرفته وإقراره.

وهو - إضافة إلى ذلك - يهدي الإنسان إلى التوفيق بينه وبين المصالح الخاصة.

إذن؛ من منّا لا يريد أن يكون إنساناً طيباً يبتعد عن الجريمة والفحشاء، ويلتزم الطرق المستقيمة، ويتحلى بالسلوك الممتاز؟

ولكن كم واحداً منا يستطيع ذلك؟ طبعاً قليلون.. لماذا؟ لأن ضرورات العيش لا تدع للفرد التفكير في الخير والحق!

لكن القرآن الحكيم يوفر هذه الفرصة، إذ إنه يهدي البشر إلى السبل القويمة للمصالح والتي لا تتنافى مع الخير والحق، بل تتكامل معهما!

٣. نصطدم في هذه الحياة بعدة مشاكل، فمن صديق ينقلب علينا، ومن قريب يشاكسنا ومن خسارة تفاجئنا، وقد تصل بنا المشاكل إلى حد الخروج عن محور الضبط ثم الانهيار في هاوية اليأس والضياع.

ولكن القرآن الحكيم يضع الحلول الحاسمة للمشاكل جميعاً، بل وأكثر من هذا، إنّه يصنع الإنسان الذي يضع الحلول المناسبة لأية مشكلة طارئة.

ضرورة التدبر في القرآن

هذه هي فوائد القرآن، وهي بالذات الأسباب التي تدعو إلى التدبر فيه، لأن القرآن لا يفيد إلاّ من عمل به.. ولا يعمل به سوى الذي يتدبر فيه فيفهم.

بل إن التدبر في القرآن هو الوسيلة الوحيدة للعمل به، إذ إن اللّه تعالى أودع كتابه الكريم نوراً يهدي الإنسان إلى ربه العظيم، فيؤمن به، وبعد الإيمان يطبق شرائعه.

من هنا ليس على الإنسان سوى أمر واحد هو الانفتاح على القرآن، واستعداد التفهم له، وهذا يكون بالتدبر فيه.

يقول اللّه سبحانه وتعالى:

((...قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ)).

إن القرآن ذاته نور، وليس علينا أمام النور إلا أن نفتح أبصارنا لنراه، ونرى به الأشياء جميعاً.

إن الكفار والفاسقين اختاروا لأنفسهم العمى فلم يفتحوا أعينهم على النور المبين، وعملوا المستحيل في سبيل حجب النور الباهر عن التسرب إلى قلوبهم، خوفاً من إمكانية تأثرهم به وتنورهم بشعاعه الكبير.

لقد كان الكفار يتواصون بهذه المقولة التي نقلها القرآن الكريم:

((وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)).

إنهم كانوا يحذرون من النور ويتهربون منه.

لقد جاء أحدهم إلى الرسول يسأله عن قرآنه فلما تلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض آيات الكتاب، صعق الرجل وشدّ على فم الرسول بيده، وقال: أناشدك الله والرحم إلاّ سكتّ! ثم تولى إلى قومه قائلاً: إنه سحر يؤثر!!

إنه لم يستطع الصبر على تيار النور الذي كاد يلف قلبه، لذلك أسكت النبي وتولى هارباً.

إن المطلوب من الإنسان الانفتاح على القرآن واستماع آياته بتدبر وتجرد، وعندئذ سوف يجد المرء كيف تحدث المعجزة؟

لقد حاول رجل مجرم أن يتسلق جداراً لينهب المال ويغتصب الناس، فسمع صوتاً ينبعث من داخل البيت، ويتلو هذه الآية: ((أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ...)).

فاستمع إلى الآية بضع ثوان، ثم انفجر باكياً وقال: بلى آن ذلك الوقت الذي يخشع قلبي القاسي لذكر الله وما نزل من الحق، بلى آن، فهبط من الجدار وتولى بوجهه شطر مسجد، واعتكف فيه إلى الأبد.

إن تدبر هذا الرجل في آية واحدة حوّله من مجرم متمرس بالجريمة إلى معتكف في محراب العبادة.

فكيف إذا تدبر الإنسان في كل القرآن! أفلا يتحول من رجل إلى مَلَك بل إلى من هو فوق درجات الملك؟

القرآن والتفسير بالرأي

يزعم فريق من المسلمين إن التدبر في القرآن غير مسموح به إلا للذي أوتي نصيبا كبيراً من العلم، ويستندون - في زعمهم هذا - إلى بعض الروايات المأثورة التي نهت الناس عن تفسير القرآن بالرأي.

ولكن هذا الزعم غير منطقي أبداً إذ إن الله كان أعلم بكتابه، وبخلقه، حيث أمرهم بالتدبر في آياته، بل حيث خاطب بالقرآن كل إنسان، وفي كل أرض وفي كل عصر.

يقول الله سبحانه عن كتابه: ((هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ)).

وهل يمكن أن يبعث الله بياناً للناس جميعاً، ثم ينهاهم عن التفهم له، أو التدبر فيه، إذاً فما فائدة البيان؟

إن خطابات القرآن تهتف بالناس كافة وتقول: يا أيها الناس، أو بالمؤمنين جميعاً، وتقول: يا أيها الذين آمنوا، وهذا يعني إن الله تعالى يريدهم أن يسمعوا كلامه، ويتفهموه، فهل نستطيع أن نزعم أنه لا يجوز التدبر فيه؟

ولا يمكن أن نقول أن الروايات تنهى عن التدبر الذي أمر به الله، بل الأكثر منطقية القول أن الروايات نهت عن شيء، والآية أمرت بشيء آخر، أو أن الروايات بينّت حدود التدبر التي لا يجوز التجاوز عنها.

فأي شيء نهت عنه الروايات؟

الواقع أن على الإنسان أن يتبع الحق الذي يعرفه ويدع الذي لا يعرفه، إن الله سبحانه يقول: ((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا)).

وكذلك لا يجوز للإنسان - في شريعة الإسلام - أن يقول شيئاً لا يعلم به، قال الله سبحانه: ((...وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)).

وقد اعتبر القرآن القول بغير علم كبيرة يعظمها الله ويستحقرها العباد، فقال تعالى: ((...وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ)).

ومن هنا لا يجوز أن ننسب فكرة أو عملاً لأحد ما لم نتأكد يقيناً انتسابهما إليه، كذلك لا يجوز تفسير كلام أي فرد إلا بعد التأكد من إرادته فعلاً لما نفسره، وإلا اعتبر ذلك نوعاً من التحريف في كلامه وضرباً من التهمة.

وتشتد خطورة الأمر بالنسبة إلى الله العظيم، فأي قول ينسب إليه يجب أن تتأكد بالعلم اليقين أنه قاله، وإلاّ كنا قد افترينا على الله كذباً، فقال سبحانه: ((وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ)).

وكذلك أي تفسير لكلام الله المجيد لا نعلم يقيناً مطابقته للواقع يعد نوعاً من الافتراء على الله، لأنه يعتبر ضرباً من نسبة القول إليه دون التأكد من ذلك.

وكان في الأمة الإسلامية - ولم يزل - فريق يريدون استغلال الدين لمصالحهم الشخصية، أو يستخدموه لإثبات أهوائهم المضلة، وهكذا يبدؤون بتفسير الآيات القرآنية حسب آرائهم الخاصة، إن هؤلاء يريدون أن يجعلوا كتاب الله تابعاً لأفكارهم فيحمّلونه ما لا يحتمل.

وقد أراد الإسلام تطويق هذا الفريق فجاء في الكتاب الكريم: ((هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ)).

هكذا وضح القرآن نوايا هذا الفريق الفاسدة ونهى - بشكل قاطع - عن تأويل القرآن للوصول إلى الأغراض الفاسدة.

وجاءت الروايات تنهى عما نهت عنه الآية أيضا، ولكن بتعبير آخر وهو (التفسير بالرأي) والذي يعني القول حسب الهوى الشخصي، وهو يقابل التفسير وفق الحق والواقع.

وعلى الرغم من أن القول بالرأي بصفة عامة، وأن تفسير أي كلام منسوب إلى أحد - تفسيره - حسب الرأي هو الآخر محرم، فإن كل ذلك بالنسبة إلى كلام الله الحكيم يعتبر أشد حرمة، لذلك خصت الروايات هذا الأمر بالذكر وهو غير خارج عن القواعد العامة.

وإليك بعض تلك الروايات:

- عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ فهوى أبعد من السماء».

- وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من فسّر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ».

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من فسّر القرآن برأيه بوِّئ مقعده من النار».

إذن: فهناك حقيقة لا ريب فيها، هي أن القول بالرأي - خصوصاً في تفسير القرآن الحكيم - حرام أشد ما تكون الحرمة.

ولكن لا يرتبط ذلك بالتدبر في القرآن، إذ التدبر هو: التفكير المركز في الآية لمعرفة الحقيقة التي ذكر بها معرفة تعيينية.

فالتدبر إنما هو لتحصيل العلم بالقرآن، حتى لا يقول الإنسان برأيه في تفسير القرآن وإنما بالعلم.

المصدر: بحوث في القرآن الكريم، تأليف: آية الله السيد محمد تقي المدرسي.

كم طالبٍ للدنيا والموتُ يطلبه



العبرة بالسابقين

إذا نظرنا إلى الديار... ونتأمل في الآثار، فيحسن الاعتبار... يقف المرء على الأطلال، أطلال الآباء والأجداد: بيوتهم ومنازلهم، حقولهم وبيادرهم، رزقهم وأملاكهم... عندما يقف هناك، ويناجي نفسه بالذين مروا من هنا، وعن الذين بنوا هناك، وعمّروا هنالك وأنشأوا ورفعوا وشيّدوا وغرّسوا الأشجار، وأحيوا القفار، وكل ما يحيط بنا يشير إليهم، مع انعدام وجودهم بيننا.

وإلى هذا يشير مولانا علي عليه السلام عندما يقول:

«فاعتبروا بنزولِكم منازلَ مَنْ كان قبلَكُم، وانقطاعِكم عن أوصلِ إخوانكم».

ويقول عليه السلام قبل ذلك:

«أوَ لَيسَ لكم في آثار الأولين مُزْدَجَر، وفي آبائِكم الماضينَ تبصِرَةٌ ومعتبر إن كنتم تعقلون!، أو لم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخلف الباقين لا يبقون!، أو لستم ترون أهل الدنيا يصبحون ويمسون على أحوال شتى، فميّت يُبكى وآخرُ يُعزّى، وصريعٌ مُبتلى، وعائد يعود، وآخرُ بنفسه يجود، وطالب للدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي!».

وفي نص... آخر، فيه دلالات عظيمة إلى من عايشنا وجاورنا، ورأينا وعاينّا ولامسنا وحاورنا... ثم فارقنا على حين غرّة:

«... فيا عجبي! أللدنيا خُلِقَ آبائي وأجدادي أم للآخرة؟... فإن كانوا للدنيا قد خُلقوا فلم فارقوها ورحلوا عنها؟!!

وإن كانوا للآخرة قد خلقوا... فإلى الآخرة أيضاً نحن قد خُلقنا، وإليها مصيرنا.. فليس بإرادتهم رحلوا، وليس بإرادتنا نرحل... ولم ينفعهم عملهم للدنيا، وتعلّقهم بها... ولن ينفعنا نحن ذلك... .

كأني بهم ومذ ولدوا للآخرة لا للدنيا ولدوا، فهناك في دارهم الحقيقة يأنسون، وفي هذه الدار دار الغربة يستوحشون، هناك دار المقرّ ودار الخلود».

وهذا مدلول قوله عليه السلام:

«فكفى واعظاً بموتى عايَنْتُموهم، حملوا إلى قبورهم غير راكبين، وأنزلوا فيها غير نازلين، فكأنهم لم يكونوا للدنيا عمّاراً، وكأنّ الآخرة لم تزل لهم داراً، أوحشوا ما كانوا يطنون، وأوطنوا ما كانوا يوحشون، واشتغلوا بما فارقوا، وأضاعوا ما إليه انتقلوا، لا عن قبيح يستطيعون انتقالاً، ولا في حسنٍ يستطيعون ازدياداً، أنسوا بالدنيا فغرّتهم، ووثقوا بها فصرعتهم، فسابقوا، رحمكم الله، إلى منازلكم التي أمرتم أن تعمروها، والتي رغّبتم فيها ودعيتم إليها... ما أسرع الساعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشهر، وأسرع الشهور في السنة، وأسرع السنين في العمر».

ويقول عليه السلام في هذا المجال أيضاً:

«واتّعظوا بمن كان قبلكم، قبل أن يتّعظ بكم من بعدكم».

ويُرى أنه عليه السلام تبع جنازة فسمع رجلاً يضحك فقال:

«كأنّ الموت فيها على غيرنا كُتب، وكأنّ

الحقّ فيها على غيرنا وجب، وكأنّ الذي نرى من الأموات سفر عمّا قليل... إلينا راجعون، نبوّئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم كأنّا مخلّدون بعدهم، ثم قد نسينا كل واعظ وواعظة، ورمينا بكل فادح وجائحة».

وفي نص آخر يقول عليه السلام:

«واتّعظوا فيها بالذين قالوا:

((...مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ...)).

حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا، وأنزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفانا، وجعل لهم من الصفيح أجنان، ومن التراب أكفان، ومن الرفات جيران، فهم جيرة لا يجيبون داعياً، ولا يمنعون ضيما، ولا يبالون مندبة... جمع وهم آحاد، وجيرة وهم أبعاد، متدانون لا يتزاورون، وقريبون لا يتقاربون... استبدوا بظهر الأرض بطنا، وبالسّعة ضيقاً، وبالأهل غربة، وبالنور ظلمة، فجاؤوها كما فارقوها، حفاة عراة...».

حب الدنيا لماذا؟

يبدو من خلال عملية استقراء سريعة للواقع البشري، أنّه ما من أحد إلا ويتعلق قلبه بالدنيا، ولا يريد تركها، خاصة من أنعم الله تعالى عليهم أو ابتلاهم بالسلطة والسلطان والمال الكثير والرزق الوفير... ويندر، وبنسبة كبيرة، أن ترى شذوذاً عن هذه القاعدة... .

وعلى الرغم من أننا نرى من الدنيا غدرا ومرضاً ومصيبة، ووجعا وبلاء... إلا أننا نتعلق بها، ونحن نعلم يقيناً أنها يوماً ما ستتكث عهدها معنا، وهي المنغصة لحياتنا، القاطعة لفرحتنا.

يقول الإمام علي عليه السلام: «عباد الله أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم، وإن لم تحبوا تركها، والمبلية لأجسامكم، وإن كنتم تحبون تجديدها، فإنما مثلكم ومثلها، كسفر سلكوا سبيلاً، فكأنهم قد قطعوه، وأمّوا علماً فكأنهم قد بلغوه... فلا تنافسوا في عزّ الدنيا وفخرها، ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها، ولا تجزعوا من ضرّائها وبؤسها، فإنّ عزّها وفخرها إلى انقطاع وإنّ زينتها ونعيمها إلى زوال، وضرّاءها وبؤسها إلى نفاد، وكلّ مدّة فيها إلى انتهاء، وكل حيّ فيها إلى فناء».

والسرّ في تعلّق الناس بالدنيا، وشغفهم بها، كثرة الشهوات فيها، وتنوّع التزين منها، من مال وفير، إلى قصور رحبة، ومناصب مرغبة، إلى ملك متسلط، إلى حب للقباء... إلى زينة متعددة الصعد والأشكال والرغبات... لا ينجو من تعرّضها ومكرها حتى المؤمنون الذين تسوّل لهم أكثر من غيرهم.

ومن يدري متى يأتي الأجل؟! أو متى ينزل المرض؟! ومتى تحلّ المصائب؟ يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة:

«أمّا بعد، فإنّي أحذّرُكم الدنيا، فإنها حُلوةٌ خضرةٌ، حُفّتْ بالشهوات، وتحبَّبت بالعاجلة، وراقت بالقليل، وتحلَّت بالآمال، وتزيَّنت بالغرور، لا تدوم حَبْرَتها، ولا تُؤْمَنُ فَجْعَتُها، غرّارةٌ ضَرَارَة، حائلَةٌ زائلَة، نافدَةٌ بائدَة أكّالَةٌ غوّالَة... لم يكن امرؤٌ منها في حَبْرةٍ إلا أعْقَبَتْهُ بَعدَها عَبْرَة، ولم يَلْقَ في سَرّائها بَطْناً إلا مَنَحَتْه من ضرّائها ظَهْراً... لا ينالُ امرؤٌ من غَضَرَتها رَغَباً، إلاّ أرهقَتْه من نوائبِها تَعَباً، ولا يُمسي منها في جَنَاحِ أمْنٍ، إلاّ أصبح على قَوَادِمِ خوف، غرّارةٌ غرور ما فيها، فانيَةٌ فانٍ مَنْ عليها، لا خيرَ في شيءٍ من أزْوَادها إلا التقوى، مَنْ أقلَّ منها استكثَرَ مما يُؤْمِنُه، ومن استكثَرَ منها استكثَرَ مما يوبقُهُ، وزال عمّا قليل عنه، كم من واثِقٍ بها قد فجعتْهُ، وذي طُمَأْنِينَةٍ إليها قد صَرَعَته، وذي أبَّهَةٍ قد جَعَلَتْه حقيراً، وذي نخوةٍ قد ردّته ذليلاً... سُلطانُها دُوَّلٌ، وعيشُها رَنِقٌ، وعَذْبُها أجاجٌ، وحُلْوُها صَبِرٌ وغذاؤُها سِمامٌ، وأسبابُها رِمام، حَيُّها بعَرَض مَوْتٍ، وصحيحُها بعَرَضِ سُقْم، مُلْكُها مَسْلُوبٌ، وعزيزُها مغلوبٌ، وموفورُها منكوب، وجارُها محروب».

«ألستُم في مساكن مَنْ كان قبلَكُم، أطْوَلَ أعماراً، وأبقى آثاراً، وأبعَدَ آمالاً، وأعَدَّ عديداً، وأكْثَفَ جنوداً، تَعَبَّدُوا للدُّنيا أيَّ تعبُّدٍ، وآثَرُوها أيَّ إيثار، ثم ظَعَنُوا عنها بغير زادٍ مُبلِّغ، ولا ظَهْرٍ قاطِع... فهل بَلَغَكُمْ أنَ الدنيا سَخَت لهم نفساً بفديةٍ، أو أعانتهم بمعونةٍ، أو أحسنت لهم صُحْبَةً...».

ويتابع الإمام سلام الله عليه محذراً منها قائلاً:

«وأعانت عليهم رَيْبَ المَنُونْ، فقد، رأيتم تَنَكُّرَها لِمَنْ دانَ لها، وآثَرَها وأخلَدَ إليها، حيثُ ظَعَنُوا عنها لفراق الأبد... وهل زوّدَتهُم إلا السَّغَبَ، أو أحَلَّتهم إلى الضنْكَ، أو نوَّرت لهم إلا الظلمة، أو أعقبتهم إلا الندامة! أفهذه تُؤثِرون، أم إليها تَطمئنُون، أم عليها تحرصون؟ فبِئْسَتِ الدارُ لِمَن لم يتهِمْها ولم يكن فيها على وَجَلٍ منها، فاعلموا، وأنتم تعلمون، بأنهم تارِكُوها وظاعِنُونَ عنها...».

المصدر: قبسات من نهج البلاغة للسيد سامي خضرا: ٢٤.



الغدر....
وآثاره الدنيوية والأخروية

ما هو الغدر

الغدر هو نقض العهد وترك الوفاء به[1]، فهو صفة ذميمة لا يتلبس بها إلا لئام الناس، بل هي صفة وحوش الحيوان كالذئاب، وصفة من لا دين له ولا مروءة، وصفة من لا يتصف بها إلاّ من كان حقيراً بين الناس ذيلاً لرؤوسهم، عبداً لأحرارهم، فهي من الرذائل المهلكة، والشهوات الخبيثة التي ينفر منها العقلاء عند ذكرها، ويترفع عنها النبلاء عند التمكن منها لما لها من عاقبة وخيمة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا صاحبها مطلوب مكروه وفي الآخرة صاحبها مأخوذ بعذاب الله تعالى، وحيث أن الغدر هو نقض العهد وخلف الوعد نجد أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر يؤكد على قباحة الغدر فيقول:

«ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمنا لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن.

وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي.

وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره، فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه، ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبة فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك»[2].

آثار الغدر

مما لا شك فيه أن للذنوب آثاراً في الدنيا وجزاء في الآخرة، فيكون الغادر ممن خسر الدنيا والآخرة معا وهو الخسران الأكبر، ولقد ذكرت الأحاديث الشريفة الآثار القبيحة لهذه الصفة:

١ـ إذا عمل الإنسان سيئة، تسجل في سجل أعماله سيئة واحدة إلاّ أن بعض الأعمال هي سيئة بذاتها ولها أثر أقبح منها ألا وهو مضاعفة السيئات كصفة الغدر وهذا ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الغَدْرُ يُضاعِفُ السَّيِّئات»[3].

وعنه عليه السلام: «الغَدْرُ يُعَظِّمُ الوِزْرَ، وَيُزري بِالقَدْرِ»[4].

٢ـ إن الإنسان الغادر يفقد قيمته عند الناس وتناله المهانة من الله تعالى وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين بقوله: «جانِبُوا الغَدْرَ؛ فَإنَّهُ مُجانِبُ القُرآنِ»[5].

وعنه عليه السلام قال: «إيّاكَ وَالغَدْرَ؛ فَإنَّهُ أقْبَحُ الخِيانَةِ، وَإنَّ الغَدُورَ لَمُهانٌ عِنْدَ اللهِ»[6].

٣ـ وأرشد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمته من خلال وصيته لأمير المؤمنين عليه السلام أن لا تغدر وتنتهك أمان الله تعالى بين عباده، وحثها على أن الصبر في الشدة والبلاء وضيق الأمور خير لها من أن تغدر فتنال العاقبة الوخيمة وهذا ما صرح به في قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي فيما عَهِدَ إليه: «وَإيّاكَ وَالغَدْرَ بِعَهْدِ اللهِ وَالإخْفارَ لِذِمَّتِه؛ فَإنَّ اللهَ جَعَلَ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أماناً أمْضاهُ بَيْنَ العِبادِ بِرَحْمَتِهِ، وَالصَّبْرُ

عَلى ضيقٍ ترجو انْفِراجَهُ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخافُ أَوْزارَهُ وَتَبِعاتِهِ وَسُوءَ عاقِبَتِهِ»[٧].

٤- سيقف الناس يوم القيامة بين يدي الحكم العدل ألا وهو الله سبحانه فيحكم بينهم، ويقف الخصم أمام خصمه ويدلي بشهادته ومطالبه فيحكم الله تعالى للمظلوم على الظالم، ولكن بالنسبة للغادر سيكون الخصم معه ليس المغدور فحسب بل الله تعالى هو الخصم، أي يكون الحكم هو الخصم وهذا من أشد المواقف على الغادر فلذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «قالَ اللّهُ تَعالى: ثَلاثَةٌ أنا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ: رَجُلٌ أَعْطى بي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ باعَ حُرّاً فَاكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أجيراً فَاسْتَوفى مِنْهُ العَمَلَ وَلَمْ يُوَفِّهِ أَجْرَهُ»[٨].

نصائح لابد منها

١- رغم قباحة الغدر إلاّ أنه يشتد قباحة عندما يكون مع أصحاب القوة والحكم لما له من آثار وخيمة على الغادر وهذا ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «الغَدْرُ بِكُلِّ أَحَدٍ قَبيحٌ، وَهُوَ بِذَوي[٩] القُدْرَةِ وَالسُّلْطانِ أَقْبَحُ»[١٠].

٢- إذا ائتمنك أخوك سراً لا يحق لك نشره والإعلان به؛ لأن ذلك نوع من أنواع الغدر، وهو الخيانة المقيتة فلذا ورد عن الإمام علي عليه السلام: «أَقْبَحُ الغَدْرِ إذاعَةُ السِّرِّ»[١١].

٣- الغادر لمهانته على الله تعالى لم يجعل الله تعالى له حرمة، ولم يكن له ذمام ولا يستحق الوفاء رغم أن الوفاء فضيلة ومنقبة لمن تحلى به، بل أن رد غدر الغادر بغدر مثله يعد من الوفاء؛ لأنه من المكر بالماكر وهذا ما يفهم من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «الوَفاءُ لأَهلِ الغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللهِ، وَالغَدْرُ بِأَهْلِ الغَدْرِ وَفاءٌ عِنْدَ اللهِ»[١٢].

٤- تحث الأحاديث الشريفة على تسمية الأشياء بأسمائها، كما دعت الناس إلى عدم الاشتباه في تغيير الحقائق، فلذا لا يحق للمؤمن أن يعدّ الغدر سلوكا عقلانيا، وأن لا يسميه ذكاءً وحذاقة، وحث المؤمن على ذكر الله تعالى والالتزام بأوامره والانتهاء عن نواهيه وإن كان قادراً على فعل الحرام، وبخلاف ذلك يصبح المؤمن فاسقاً لا دين له، وهذا هو مضمون حديث أمير المؤمنين عليه السلام: «أيُّها النّاسُ، إنَّ الوَفاءَ تَوْأَمُ الصِّدقِ، وَلاَ أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقى مِنْهُ، وَما يَغْدِرُ مَنْ يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ المَرْجِعُ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنا فِي زَمانٍ قَد اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِه الغَدْرَ كَيْساً، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الجَهْلِ فيه إلى حُسْنِ الحيلَة، ما لَهُمْ، قاتَلَهُمُ اللّه؟! قَدْ يَرَى الحُوَّلُ القُلَّبُ وَجْهَ الحيلَةِ وَدُونَها مانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِه، فَيَدَعُها رَأيَ عَيْنٍ بَعْدَ القُدْرَةِ عَلَيْها، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَها مَنْ لاَ حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ»[١٣].

وعنه عليه السلام قال: «وَاللهِ ما مُعاوِيَةُ بِأَدْهى مِنّي وَلكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلاَ كِراهِيَةُ الغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهى النّاسِ، وَلكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٍ، وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٍ، وَلِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يُعْرَفُ بِه يَوْمَ القِيامَةِ، وَاللهِ ما أُسْتَغْفَلُ بِالمَكِيدَةِ، ولاَ أُسْتَغْمَزُ بِالشَّديدَةِ»[١٤].

٥- إياك والفضيحة على رؤوس الأشهاد، فلقد ورد في الأحاديث الشريفة أن أهل الغدر سترفع لهم ألوية يعرفون من خلالها ويفتضحون بين أهل الحشر، فيعرف الغادر ومقدار غدرته وهذا ما أشارت إليه الأحاديث الشريفة: قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ لِكُلِّ غادِرٍ لِواءً يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ»[١٥].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلينَ وَالآخرينَ يَوْمَ القِيامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ، فَقيلَ: هذِهِ غَدْرَةُ فُلانِ ابنِ فُلانٍ!»[١٦].

وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا إنَّهُ يُنْصَبُ لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يَوْمَ القِيامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ»[١٧].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يَوْمَ القِيامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِه، ألاَ وَلاَ غادِرَ أَعْظَمُ غَدْراً مِنْ أَميرِ عامَّةٍ»[١٨].

---

(١) المعجم الوسيط: ص٦٤٥.
(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج٣، ص١٠٧.
(٣) غرر الحكم: ٦٤٣. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٦، ح١٤٨٠٩.
(٤) غرر الحكم: ٢١٩١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٦، ح١٤٨١٠.
(٥) غرر الحكم: ٤٧٤١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٦، ح١٤٨١١.
(٦) غرر الحكم: ٢٦٦٤. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٦، ح١٤٨١٢.
(٧) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٤٧، ح١٢٣٩٦. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٦، ح١٤٨١٦.
(٨) الترغيب والترهيب: ج٤، ص١٠، ح١٩. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٦، ح١٤٨١٧.
(٩) في المصدر (بذو) والصحيح ما أثبتناه كما في بعض النسخ.
(١٠) غرر الحكم: ١٨٦٤. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٧، ح١٤٨١٩.
(١١) غرر الحكم: ٣٠٠٥. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٧، ح١٤٨٢٠.
(١٢) نهج البلاغة: الحكمة ٢٥١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٩، ص١٠٢. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٦، ح١٤٨٢١.
(١٣) نهج البلاغة: الخطبة ٤١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٨، ح١٤٨٢٢.
(١٤) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٠. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠، ص٢١١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٨، ح١٤٨٢٣.
(١٥) كنز العمال: ٧٦٨١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٨٥، ح١٤٨٢٥.
(١٦) كنز العمال: ٧٦٨٢. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٨٥، ح١٤٨٢٦.
(١٧) كنز العمال: ٧٦٨٣. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٨٥، ح١٤٨٢٧.
(١٨) كنز العمال: ٧٦٨٤. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٨٥، ح١٤٨٢٨.

طرق إزالة الغضب وعلاجه

قد اختلف علماء الأخلاق في إمكان إزالة الغضب بالكلية وعدمه، فقيل: قمع أصل الغضب من القلب غير ممكن، لأنه مقتضى الطبع، إنما الممكن كسر سورته وتضعيفه، حتى لا يشتد هيجانه.

وأنت خبير بأن الغضب الذي يلزم إزالته هو الغضب المذموم، إذ غيره مما يكون بإشارة العقل والشرع ليس غضبا فيه كلامنا، بل هو من آثار الشجاعة، والاتصاف به من اللوازم وإن أطلق عليه اسم الغضب أحيانا حقيقة أو مجازا، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يغضب للدنيا، وإذا أغضبه الحق لم يصرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له».

ولا ريب أن الغضب الذي يحصل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن غضبا مذموما، بل كان غضبا ممدوحا يقتضيه منصب النبوة، وتوجيه الشجاعة النبوية، ثم الغضب المذموم ممكن الزوال، ولولا إمكانه لزم وجوده للأنبياء والأوصياء، ولا ريب في بطلانه.

علاج الغضب

أولاً: إزالة أسبابه المهيجة له، إذ علاج كل علة بحسم مادتها، وهي العجب، والفخر، والكبر، والغدر، واللجاج، والمراء، والمزاح، والاستهزاء، والتعيير، والمخاصمة، وشدة الحرص على فضول الجاه والأموال الفانية، وهي بأجمعها أخلاق ردية مهلكة، ولا خلاص من الغضب مع بقائها، فلا بد من إزالتها حتى تسهل إزالته.



ثانياً: أن يتذكر قبح الغضب وسوء عاقبته، وما ورد في الشريعة من الذم عليه، كما تقدم.

ثالثا: أن يتذكر ما ورد من المدح والثواب على دفع الغضب في موارده، ويتأمل فيما ورد من فوائد عدم الغضب، كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من كف غضبه عن الناس كف الله تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة».

وقول الإمام الباقر عليه السلام: «مكتوب في التوراة: فيما ناجى الله به موسى: أمسك غضبك عمن ملكتك عليه اكف عنك غضبي».

وقول الإمام الصادق عليه السلام: «أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: يا ابن آدم! اذكرني في غضبك أذكرك في غضبي، ولا أمحقك فيمن أمحق، وإذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك، فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك».

وقوله عليه السلام: «سمعت أبي يقول: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل بدوي، فقال: إني أسكن البادية، فعلمني جوامع الكلم؛ فقال: آمرك ألا تغضب، فأعاد الأعرابي عليه المسألة ثلاث مرات، حتى رجع الرجل إلى نفسه، فقال: لا أسأل عن شيء بعد هذا، ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بالخير».

وقوله عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه رجل، فقال: يا رسول الله! علمني عظة أتعظ بها، فقال له: انطلق ولا تغضب، ثم عاد عليه، فقال له: انطلق ولا تغضب... ثلاث مرات».

وقوله عليه السلام: «من كف غضبه ستر الله عورته»، إلى غير ذلك من الأخبار.

رابعاً: أن يتذكر فوائد ضد الغضب، أعني الحلم وكظم الغيظ، وما ورد من المدح عليهما في الأخبار - كما يأتي - ويواظب على مباشرته ولو بالتكلف، فيتحلم وإن كان في الباطن غضبانا، وإذا فعل ذلك مدة صار عادة مألوفة هنيئة على النفس، فتنقطع عنها أصول الغضب.

خامساً: أن يقدم الفكر والروية على كل فعل أو قول يصدر عنه، ويحافظ نفسه من صدور غضب عنه.

سادســاً: أن يحترز عن مصاحبة أرباب الغضــب، والذيــن يتبجحون بتشــفي الغيظ وطاعــة الغضــب، ويســمون ذلــك شــجاعة ورجوليــة، فيقولون: نحن لا نصبر على كذا وكــذا، ولا نحتمــل مــن أحــد أمــرا، ويختار مجالســة أهــل الحلــم، والكاظمــين الغيظ، والعافين عن الناس.

سابعاً: أن يعلم إن ما يقع أنما هو بقضاء الله وقــدره، وإن الأشــياء كلهــا مســخرة في قبضــة قدرتــه، وإن كل مــا في الوجــود مــن الله، وإن الأمــر كلــه لله، وإن الله لا يقــدر له ما فيه الخيرة، وربما كان صلاحه في جوعه أو مرضــه، أو فقــره، أو جرحــه أو قتله، أو غير ذلك.

فإذا علم بذلــك غلب عليه التوحيد، ولا يغضــب على أحد، ولا يغتاظ عما يرد عليه، إذ يــرى ــ حينئــذ ــ أن كل شــيء في قبضة قدرته أسير، كالقلم في يد الكاتب.

فكما أن من وقع عليه ملك بضرب عنقه لا يغضــب على القلم، فكذلك من عرف الله وعلــم أن هــذا النظــام الجملي صــادر منه علــى وفق الحكمة والمصلحة ولو تغيرت ذرة منــه عما هي عليه خرجت عــن الأصلحية، لا يغضــب على أحــد، إلا أن غلبــة التوحيد علــى هذا الوجه كالكبريــت الأحمر وتوفيق الوصول إليه من الله الأكبر.

ولو حصل لبعــض المتجردين عن جلباب البدن يكون كالبرق الخاطف، ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا، ولــو تصــور دوام ذلــك لأحــد لتصــور لفرق الأنبيــاء، مــع أن التفاتهــم في الجملــة إلى الوسائط مما لا يمكن إنكاره.

ثامنــاً: أن يتذكــر أن الغضب مرض قلب ونقصــان عقــل، صــادر عن ضعــف النفس ونقصانهــا، لا عــن شــجاعتها وقوتها، ولذا يكــون المجنــون أســرع غضبــا مــن العاقل، والمريض أسرع غضبا من الصحيح.

والشيخ الهرم أســرع غضبا من الشاب، والمــرأة أســرع غضبا من الرجــل، وصاحب الأخــلاق الســيئة والرذائــل القبيحة أســرع غضبا من صاحب الفضائل.

فالرذيل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة، والبخيــل يغتاظ لبخلــه إذا فقد الحبة، حتى يغضــب لفقــد أدنــى شــيء على أعــز أهله وولده.

والنفــس القوية المتصفــة بالفضيلة أجل شأنا من أن تتغير وتضطرب لمثل هذه الأمور، بل هي كالطود الشاهق لا تحركه العواصف، ولذا قال ســيد الرســل صلــى الله عليه وآله وسلم: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

وإن شككت في ذلك فافتح عينيك وانظر إلى طبقات الناس الموجودين، ثم ارجع إلى كتب السير والتواريخ، واستمع إلى حكايات الماضــين، حتى تعلم: أن الحلم والعفو وكظم الغيــظ شــيمة الأنبيــاء والحكمــاء وأكابــر الملــوك والعقــلاء، والغضب خصلــة الجهلة والأغبياء.

تاســعاً: أن يتذكــر أن قــدرة الله عليــه أقــوى وأشــد من قدرته على هــذا الضعيف الــذي يغضب عليــه، وهو أضعــف في جنب قوتــه القاهرة بمراتب غير متناهية من هذا الضعيــف في جنب قوته، فليحذر، ولم يأمن إذا أمضــى غضبه عليه أن يمضي الله عليه غضبه في الدنيا والآخرة.

وقــد روي: «أنه ما كان في بني إســرائيل ملــك إلا ومعــه حكيــم، إذا غضــب أعطــاه صحيفــة فيهــا: (إرحــم المســاكين، واخش الموت، واذكــر الآخرة)، فــكان يقرأها حتى يسكن غضبه».

عاشــراً: أن يتذكــر أن مــن يمضي عليه غضبه ربما قوي وتشمر لمقابلته، وجرد عليه لســانه بإظهار معائبه والشــماتة بمصائبه، ويؤذيه في نفسه وأهله وماله وعرضه.

الحــادي عشــر: أن يتفكــر في الســبب الــذي يدعوه إلى الغيــظ والغضب فإن كان الخــوف الذلة والمهانــة والاتصــاف بالعجز وصغر النفس عند الناس، فليتنبه أن الحلم وكظــم الغيــظ ودفــع الغضــب عــن النفــس ليســت ذلــة ومهانــة، ولم يصــدر من ضعف النفس وصغرها، بل هو من آثار قوة النفس وشجاعتها.

وأضدادهــا تصــدر من نقصــان النفس وخورها، فدفع الغضب عن نفسه لا يخرجه من كبر النفس في الواقع، ولو فرض خروجه بــه منــه في أعــين جهلــة النــاس فــلا يبالي بذلــك، ويتذكر أن الاتصاف بالذلة والصغر عند بعض أرذال البشــر أولى من خزي يوم المحشر والافتضاح عند الله الملك الأكبر.

وإن كان السبب خوف أن يفوت منه شيء مما يحبه ، فليعلم أن ما يحبه ويغضب لفقده إمــا ضــروري لكل أحــد، كالقوت والمســكن واللباس وصحة البدن، وهو الذي أشار إليه ســيد الرســل ـ صلى الله عليه وآله وســلم ـ بقولــه: «مــن أصبــح آمنا في ســربه، معافى في بدنــه، وله قوت يومــه، فكأنما خيرت له الدنيا بحذافيرها».

أو غــير ضروري لأحد، كالجاه والمنصب وفضــول الأمــوال، أو ضــروري لبعــض النــاس دون بعض، كالكتــاب للعالم، وأدوات الصناعــات لأربابها، ولا ريب أن كل ما ليس من هذه الأقسام ضروريا فلا يليق أن يكون محبوبا عنــد أهل البصــيرة وذوي المروات، إذ مــا لا يحتــاج إليه الإنســان في العاجل لا بــد له من تركــه في الآجل، فما بــال العاقل أن يحبــه ويغضب لفقــده، وإذا علم ذلك لم يغضب على فقد هذا القسم البتة.

وأما ما هو ضروري للكل أو البعض، وإن كان الغضب والحزن من فقده مقتضى الطبع لشــدة الاحتياج إليه، إلا أن العاقل إذا تأمل يجد أن ما فقد عنه من الأشــياء الضرورية إن أمكــن رده والوصــول إليــه يمكــن ذلــك بــدون الغيظ والغضب أيضــا، وإن لم يمكن لم يمكــن معهمــا أيضا، وعلــى أي حال بعد التأمل يعلم أن الغضب لا ثمرة له سوى تألم العاجــل وعقوبة الآجــل، وحينئذ لا يغضب، وإن غضب يدفعه عن نفسه بسهولة.

الثاني عشــر: أن يعلــم إن الله يحب منه ألا يغضــب، والحبيــب يختــار البتة ما يحب محبوبــه، فــإن كان محبا لله فليطفئ شــدة حبه له غضبه.

الثالث عشــر: أن يتفكــر في قبح صورته وحركاته عند غضبه، بأن يتذكر صورة غيره وحركاته عند الغضب.

تتميم

إعلم أن بعض المعالجات المذكورة يقتضي قطع أســباب الغضب وحسم مواده، حتى لا يهيــج ولا يصدر، وبعضها يكســر ســورته أو يدفعــه إذا صــدر وهــاج، ومــن علاجه عند الهيجان الاســتعاذة من الشيطان، والجلوس إن كان قائما، والاضطجاع إن كان جالســا، والوضــوء أو الغســل بالماء البــارد، وإن كان غضبــه علــى ذي رحم فليدن منه وليمســه، فــإن الرحم إذا مســت ســكنت، كمــا ورد في الأخبار.

المصدر: جامع السعادات للمحقق النراقي.

إن الإنســــان........ مخيّر لا مسيّر



إن أتباع المدرسة الجبرية يحاولون الاستدلال على أن الإنسان مسير في حياته وليس مخيّراً، فهو مجبر في أعماله، لا يملك شيئا من الحرية والاختيار، فحينما يحاول الجبريون إثبات صحة هذا المدعى الباطل، يطرحون بعض الاستدلالات الضعيفة، والتي منها (وقوع أفعال الإنسان كما علمها الله سبحانه وتعالى) فهم يقولون:

(إن علم الله سبحانه وتعالى محيط بكل شيء، فهو سبحانه وتعالى عالم بكل الأشياء ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ما كان منها وما لم يكن، وما سيكون وما لن يكون، ومن ذلك علمه جل وعلا بما سيصدر من الإنسان من أقوال وأعمال في مستقبل الحياة، ولابد أن تقع هذه الأقوال والأعمال من الإنسان كما علمها الله سبحانه وتعالى، والإنسان لا يملك أي خيار إلا أن يقوم بتلك الأقوال والأعمال كما في علمه عز وجل، إذ لو لم يقم الإنسان بتلك الأقوال والأعمال كما علمها الله سبحانه وتعالى، لغلبت إرادة الإنسان إرادة الله، ولكان ذلك أوضح دليل على عدم علم الله بكل شيء، وفي هذا نسبة الجهل إلى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا!!!!

فمثلا: بما أن الله يعلم أن زيدا سيقتل عمرا في مستقبل الزمان، فلا بد أن يقع هذا المعلوم ويقوم زيد بقتل عمرو، وإلا تخلف المعلوم عن العلم، وفي هذا نسبة الجهل إلى الله عز وجل - نعوذ بالله -.

وبما أن كل المعلومات ومنها العلم بأقوال وأعمال الإنسان لابد أن تقع كما علمها سبحانه وتعالى شاء الإنسان أم أبى، فهذا يدل على أن الإنسان ليس حرا مختارا، بل هو مسير في حياته مجبر على أقواله وأعماله التي يجب أن تقع كما علمها الله سبحانه وتعالى.

أما الواقع أنها شبهة ضعيفة وحجة واهية، ولا يمكنها أن تصمد أمام النقد العلمي على الإطلاق.

نحن نؤكد أولا وقبل كل شيء:

صحة ما يقوله الجبريون من ضرورة وقوع كل الأشياء ومنها أعمال الإنسان وأقواله كما علمها الله سبحانه وتعالى.

فبما أنه في علم الله جل وعلا أن زيدا لن يؤمن بالدين، فيستحيل إذن أن يؤمن زيد مهما كان واعيا وذكيا، ومهما قدمنا له من الأدلة والبراهين الإثباتية!!!!!

وبما أنه في علم الله أن بكرا سيغدر بعمرو، لابد أن يتحقق ذلك ويغدر بكر بعمرو كما في علمه عز وجل.

وعلى هذه الأمثلة فقس ما سواها، وخذها قاعدة عامة:

(كل المعلومات والتي منها أقوال وأعمال الإنسان لابد أن تقع كما علمها الله جل وعلا، ولا يمكن لمعلوم أن ينقض علمه تبارك وتعالى على الإطلاق).

ولكن الذي يجب أن نلتفت إليه هو:

أن وقوع كل المعلومات كما علمها الله ومنها ما يصدر من الإنسان من أقوال وأعمال، لا يصحح نظرية الجبر، ولا ينافي حرية الإنسان واختياره ولا يدل على أنه مسير ومجبر!!!!

بل إن كل أقواله وأعماله تصدر منه بكامل حريته وإرادته واختياره، وإن كانت تصدر منه كما يعلمها الله قبل صدورها وتحققها في الخارج!!!!

فعلم الله جل وعلا بأقوال وأعمال الإنسان قبل صدورها منه وتحققها في الخارج، لا يعني أن الله عز وجل أجبره على قولها أو عملها لتوافق علمه السابق بها!!!!

فليس علم الله بتلك الأقوال والأعمال هو العلة لقولها أو عملها حين تصدر من الإنسان.

وهـذا مـا غفـل عنـه أصحـاب نظريـة الجـبر، حين جعلـوا علم الله بالأشـياء قبل حدوثهـا علـة لها وسـببا لحدوثهـا!! مع أن الأمر ليس على هذه الشـاكلة التي يتوهمها الجبريون!!!!

فعلـم الله بمـا يصدر مني مـن أقوال أو أعمـال ليـس هـو السـبب في صدورها،ولا يعني أن الله

أجبرني عليها أبداً أبدا!!!

وإنمـا يعني إطلاع الله على كل الأشـياء وإحاطتـه سـبحانه وتعـالى بها،فـلا يخفى عليه شيء منها.

وبتعبـير علماء الـكلام: (أن علم الله عز وجل، هو:علم حضوري)

وهـو (حضـور كل المعلومـات بـين يديـه وانكشـاف الواقع أمامه وبحضرته المقدسة سـبحانه وتعالى، فلا يشـذ عن علمه شيء من الأشـياء، بل الأشـياء كلهـا حاضرة بين يديـه واضحـة لـه منكشـفة لديه سـبحانه وتعالى).

مثـلا: حين نرى طبيبـا يخبر عن موت مريض معين بعد يوم أو يومين أو أسبوع أو أسـبوعين، ثم يتحقق ما أخـبر به الطبيب ويمـوت ذلـك المريـض، فهنـا لا يمكننـا أن نعتـبر أن علـم الطبيـب وإخباره بـأن هذا المريض سيموت هو السبب في موته!!!!!

وإنمـا الصحيـح هـو انكشـاف واقـع الحال لهذا الطبيب وذلك من خلال خبرته العملية ومعلوماته الطبية بآثار هذا المرض وأخطـاره ونتائجـه المؤديـة إلى الموت، فهو يخـبر عن شـيء معلـوم له معـروف عنده، دون أن يكـون علمه سـببا في حـدوث ذلك الشيء ووقوعه!!!!!

وكذلـك الحـال حـين يخبرنـا المعلـم في المدرسـة عـن طالبـين في فصلـه، بـأن أحدهمـا سيسـقط، في الامتحان والآخـر سـينجح بامتيـاز، ثـم يقع الأمـر كما أخبر بـه المعلم فيرسـب هذا وينجـح ذاك، فليس علـم المعلـم هنا هو السـبب في فشـل الأول ونجـاح الثاني!!!! وإنما علـم المعلم وإخباره هو انكشـاف لواقع الحال لذلـك المعلم، من خـلال معرفتـه بغبـاء الأول وكسـله، وذكاء الثاني واجتهاده.

وأيضا حين تكون هناك حرب عسـكرية بـين دولتـين إحداهما تملك كامـل القوة في العدة والعدد،والأخرى لا تملك من تلك القوة أي شـي، فحـين يخبرنا المختص بالشـؤون العسـكرية المطلع على واقع هاتين الدولتين، بـأن الدولـة المالكـة لكامل القـوة هي التي سـتنتصر على الدولة الفاقـدة لكل عناصر القـوة، ثـم يقع الأمـر كما أخبر بـه، فليس معنـى ذلـك أن علـم وإخبـار ذلـك المختص بانتصـار تلـك الدولـة وهزيمـة الأخرى هو السـبب في انتصار هذه وهزيمة تلك، وإنما معنـاه انكشـاف واقع الحـال لذلك المختص من خلال اطلاعه ومعرفته بقوة هذه الدولة وضعف الدولة الأخرى.

والأمثلة في هـذا المعنى كثيرة جدا، كما لـو أخبرتـك أن زيدا سـيطلق زوجته لعلمي بكثـرة المشـاكل المعقـدة بينهمـا، وأن فلانة سـتلد ولـدا ذكرا لانكشـاف هـذا الأمر لي من خلال المنظار.... إلى ما هنالك من أمثلة تكاد لا تحصى كثرة.

وكمـا أن علمنـا بهـذه الأشـياء ليس هو السـبب في حدوثهـا، ولا يعني أننـا أجبرنا أصحابهـا على فعلها والقيـام بعملها، وإنما كل القضية هـي انكشـاف واقع الأمر لدينا، فنحن نخبر عن واقع معلوم لدينا مكشـوف لنـا، لا يحجبـه عنـا شـيء ولا يحجبنا عنه شـيء، فكذلـك الحال بالنسـبة إلى الله عز وجل.

فعلمه سـبحانه وتعالى بما سيصدر منا مـن أقـوال وأفعال ثـم صدور هـذه الأقوال والأفعـال منـا كمـا علمها جل وعـلا، ليس معناه أن هذا العلم الإلهي بما سـيصدر منا مـن أقوال أو أعمال هو السـبب في حدوثها وصدورها، وإنما معناه هو انكشـاف واقعنا ومـا سـيصدر منـا مـن أقـوال وأعمـال له سبحانه وتعالى.

وانكشـاف هـذا الواقـع لله عـز وجل لا يسـلبنا إرادتنـا وحريتنـا واختيارنـا علـى الإطـلاق، بل أننا نقوم بكل أقوالنا وأعمالنا بكامـل الحريـة والإرادة والاختيار، وإن كان كل مـا نقوم به هو معلـوم عند الله عز وجل قبل قيامنا بقوله أو فعله.

سلسلة أصول الدين للشيخ الشيرازي.



المقداد بن الأسود الكندي رضي الله عنه

نشأته سلام الله عليه

هو المقداد بن عمرو بن ثَعْلَبة بن مالك البَهراني الكندي، أبو معبد، وقيل: أبو عمرو.

ويقال: المقداد الكندي لأنّه فيما قيل أصاب دماً في بهراء فهرب منهم إلى كندة فحالفهم، ثم أصاب بينهم دماً فهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري فعرف بـ(المقداد بن الأسود).

حياته المباركة

المقداد بن الأسود يكنى أبا معبد، من أصحاب علي عليه السلام ثاني الأركان الأربعة.

قيل أنه كان: عظيم القدر، شريف المنزلة، جليلاً، من خواص علي عليه السلام، وكان من الفضلاء النجباء، الكبار الخيار.

ويعد المقداد من المقرّبين من أمير المؤمنين عليه السلام ومن الأصفياء من أصحابه.

وهو أحد الذين مالوا مع الإمام علي عليه السلام ولم يشهدوا السقيفة إيماناً بحقه عليه السلام في الخلافة.

وهو أحد رواة حديث الغدير من الصحابة.

وشهد المقداد فتح مصر.

وهو الصحابي الجليل، من الأبطال، ونسب إلى الأسود بن عبد يغوث، وهو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام. هاجر إلى الحبشة، قاتل في بدر وأحد لقب (حب الله وحب رسول الله).

وهو أول من ارتبط فرساً في سبيل الله تعالى.

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد بن الأسود، ولقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح».

وكان من السابقين إلى الإسلام، وهاجر إلى أرض الحبشة ثمّ عاد إلى مكة فلم يقدر على الهجرة إلى المدينة لما هاجر إليها رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم فبقي إلى أن بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم عبيدة بن الحارث في سرية فلقوا جمعاً من المشركين عليهم عكرمة ابن أبي جهل، وكان المقداد وعتبة بن غزوان قد خرجا مع المشركين ليتوصلا إلى المسلمين فتواقفت الطائفتان ولم يكن قتال، فانحاز المقداد وعتبة إلى المسلمين.

وشهد المقداد بدراً وله فيها مقام مشهور، وذُكر أنّه أوّل من قاتل فارساً في الإسلام، وشهد سائر المشاهد مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم.

وكان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم لما خرج إلى بدر استشار أصحابه فقام المقداد فقال: يا رسول اللّه امض لما أُمرتَ به فنحن معك واللّه لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ) ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق نبياً لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول اللّه خيراً ودعا له.

زواجه رحمه الله

روى الكليني، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله زوّج المقداد بن الأسود ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، ثم قال: «إنما زوجها المقداد لتتضع المناكح وليتأسوا برسول الله صلى الله عليه وآله، ولتعلموا أن أكرمكم عند الله أتقاكم».

موقفه من سقيفة بني ساعدة

كان من الإثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر جلوسه في الخلافة، وتقمصها والتقدم بها على أهلها الشرعيين.

ثم قام المقداد بن الأسود رحمة الله عليه فقال: يا أبا بكر إربع على نفسك، وقس شبرك بفترك وألزم بيتك، وابك على خطيئتك فإن ذلك أسلم لك في حياتك ومماتك، ورد هذا الأمر إلى حيث جعله الله عز وجل ورسوله ولا تركن إلى الدنيا ولا يغرنك من قد ترى من أوغادها فعما قليل تضمحل عنك دنياك، ثم تصير إلى ربك فيجزيك بعملك وقد علمت أن هذا الأمر لعلي عليه السلام وهو صاحبه بعد رسول

الله صلى الله عليه وآله وقد نصحتك إن قبلت نصحي.

قيل فيه حقه

روى الصدوق قدّس سرّه بإسناده عن ابن بريدة عن أبيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنّ الله عزّ وجلّ أمرني بحب أربعة.

فقلنا: يا رسول الله! من هم، سمّهم لنا؟ فقال: عليّ منهم، وسلمان، وأبو ذر والمقداد.

وروى الصدوق بإسناده عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الجنة تشتاق إليك وإلى عمار وسلمان وأبي ذر والمقداد».

وعن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إنما منزلة المقداد بن الأسود في هذه الأمة كمنزلة ألف في القرآن لا يلزق بها شيء».

وقال راشد الحبراني في حقه: (وافيت المقداد بن الأسود فارس رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بحمص على تابوت من توابيت الصيارفة قد أفضل عليها من عظمه، يريد الغزو، فقلت له: قد أعذر الله إليك.

فقال: أبت علينا سورة البحوث (انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالًا)).

وعن علي عن أبيه عن حنان ومحمد عن أحمد عن محمد بن إسماعيل عن حنان ابن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «كان الناس أهل ردة بعد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إلا ثلاثة»، فقلت ومن الثلاثة فقال: المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي رضي الله عنهم».

(عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام قال: «ضاقت الأرض بسبعة بهم ترزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون منهم، سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة رحمهم اللّه».

وكان أمير المؤمنين علي عليه السّلام يقول: «وأنا إمامهم».

وهم الذين صلوا على فاطمة عليها السّلام).

وقال: «هؤلاء الذين دارت عليهم الرحى وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين عليه السّلام مكرها فبايع وذلك قول اللّه تعالى: (وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)».

موقفه في خلافة عثمان بن عفان

روى المؤرخون أنّه اجتمع الرهط الذين عيّنهم عمر بن الخطاب للشورى في المسجد ومعهم حشد من المهاجرين والأنصار.

فقال عمار بن ياسر لعبد الرحمن بن عوف: إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليّا.

فقال المقداد بن الأسود: صدق عمار إن بايعت عليّا قلنا: سمعنا وأطعنا.

ولما أرسل عبد الرحمن بن عوف يد الامام عليّ عليه السّلام وصفق على يد عثمان، قال المقداد: يا عبد الرحمن! أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون.

ثم قال: ما رأيت مثل ما أوتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم، إنّي لأعجب من قريش أنّهم تركوا رجلا ما أقول إنّ أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل، أما والله لو أجد عليه أعواناً.

عن الليث بن سعد، عن أبي وائل، قال: كنت بالمدينة لما بويع لعثمان، فدخلت المسجد، فرأيت رجلا يصفق بإحدى يديه على الأخرى، ويقول: يا عجبا من قريش استأثروا على أهل البيت معدن الفضيلة ونجوم الأرض، ونور البلاد، والله إن فيهم رجلا ما رأينا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أولى بالحق، ولا أقضى بالعدل، ولا آمر بالمعروف ولا أنهى عن المنكر منه.

فقلت له: من أنت يرحمك الله، ومن الرجل الذي وصفت؟ فقال: أنا المقداد بن الأسود، والذي وصفته: علي بن أبي طالب.

قال: فمكث ما شاء الله، ثم لقيت أبا ذر، فحدثته بقول المقداد، فقال أبو ذر: صدق والله مقداد.

قلت له: فما منعكم أن تجعلوا هذا الأمر فيهم؟ قال: أبى ذلك عليهم قومهم.

قلت: فما منعكم أن تعينوهم؟ قال: مه، لا تسألني عن هذا.

وذكر الثقفي في تاريخه، عن همام بن الحارث، قال: دخلت مسجد المدينة فإذا الناس مجتمعون على عثمان وإذا رجل يمدحه، فوثب المقداد بن الأسود فأخذ كفا من حصا أو تراب فأخذ يرميه به فرأيت عثمان يتقيه بيده.

وذكر في تاريخه، عن سعيد بن المسيب، قال: لم يكن المقداد يصلي مع عثمان ولا يسميه أمير المؤمنين.

ما روي عنه

عن المقداد بن الأسود قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق كمقدار ميل فيكون للناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً».

وأشار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى فيه).

عن محمد بن إسماعيل بن أحمد البرمكي مسنداً إلى المقداد بن الأسود الكندي رضي الله عنه عن الزهراء عليها السلام في حديث طويل: أنها ولدت الحسين عليه السلام عند تمام ستة من حملها به.

وروي عن المقداد بن الأسود أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، حتى يطأ عليها رضى به».

وفاته

توفي المقداد بالجرف، فحمل على رقاب الرجال حتى دفن في المدنية سنة ٣٣ هـ، وهو ابن سبعين سنة أو نحوها.

(١) معجم رجال الحديث ١٣/٢٨٢ رقم٨٦٦٤.

إنشقاق الكعبة
كرامة لأمير المؤمنين عليه السلام



روى ابن أبي الفتح الأربلي (المتوفى سنة ٦٩٣هـ) عن كتاب بشاير المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مرفوع إلى يزيد بن قعب قال:

(كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وفريق من بني عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملاً به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق فقالت:

يا رب إني مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدّقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنه بنى البيت العتيق فبحق الذي بنى هذا البيت والمولود الذي في بطني إلا ما يسرت علي ولادتي قال يزيد بن قعب: فرأيت البيت قد انشق عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا وعاد إلى حاله، فرحنا أن ينفتح لنا قفل الباب! فلم ينفتح فعلما ان ذلك من أمر الله تعالى، ثم خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم قالت:

إني فضلت على من تقدمني من النساء لأن آسيا بنت مزاحم عبدت الله سرا في موضع لا يحب الله ان يعبد فيه إلا اضطرارا، وان مريم بنت عمران حضرت النخلة اليابسة بيدها حتى اكلت منها رطباً جنياً، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها فلما أردت ان أخرج هتف بي هاتف وقال: يا فاطمة سميه علياً، فهو علي، والله العلي الأعلى، يقول: اشتققت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، وأوقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه وويل لمن أبغضه وعصاه.

قالت: فولدت علياً ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون سنة، فأحبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حباً شديداً وقال لها:

«اجعلي مهده بقرب فراشي».

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يلي أكثر تربيته، وكان يطهر علياً في وقت غسله، ويوجره اللبن عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره ورقبته، ويقول:

«هذا أخي ووليي وناصري، وصفيي، وذخري، وكهفي، ومهري، ووصيي، وزوج كريمتي، وأميني على وصيتي، وخليفتي».

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحمله دائماً ويطوف به جبال مكة وشجامها وأوديتها وفجاجها صلى الله على الحامل والمحمول).

روى الحافظ الكنجي الشافعي في كفايته قائلاً: عن جابر بن عبد الله قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ميلاد علي بن أبي طالب، فقال:

«لقد سألتني عن خير مولود ولد في شبيه المسيح عليه السلام إن الله تبارك وتعالى خلق علياً من نوري وخلقني من نوره وكلانا من نور واحد، ثم إن الله عز وجل نقلنا من صلب آدم عليه السلام في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكية فما نقلت من صلب إلا ونقل علي معي فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة، واستودع عليا خير رحم وهي فاطمة بنت أسد، وكان في زماننا رجل زاهد عابد يقال له المبرم بن دعيب بن الشقبان قد عبد الله تعالى مائتين وسبعين سنة لم يسأل الله حاجة فبعث الله إليه أبا طالب فلما أبصره المبرم قام إليه وقبل رأسه وأجلسه بين يديه ثم قال له: من أنت؟

فقال: رجل من تهامة، فقال: من أي تهامة؟ فقال: من بني هاشم.

فوثب العابد فقبل رأسه ثم قال: يا هذا إن العلي الأعلى ألهمني إلهاماً.

قال أبو طالب: وما هو؟ قال: ولد يولد من ظهرك وهو ولي الله عز وجل، فلما كان الليلة التي ولد فيها علي أشرقت الأرض فخرج أبو طالب وهو يقول: أيها الناس ولد في الكعبة ولي الله فلما أصبح دخل الكعبة وهو يقول:

يا رب هذا الغسق الدجي ... والقمر المنبلج المضي
بين لنا من أمرك الخفي ... ماذا ترى في اسم ذا الصبي؟

قال: فسمع صوت هاتف يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبي ... خصصتم بالولد الزكي
إن اسمه من شامخ العلي ... علي اشتق من العلي(١)

---

(١) المولود في بيت الله الحرام علي عليه السلام أم حكيم بن حزام؟، تأليف: السيد نبيل الحسني.

شرح الصحيفة السجادية

الحلقة الرابعة والعشرون

الدعاء الأول

(...، وَنَسْبِقُ بِهِ مَنْ سَبَقَ إِلَى رِضَاهُ وَعَفْوِهِ،.....).

قيل: ورضا الله: إرادة ثوابه والموافقة لأمره، والعفو: محو الذنوب وإزالة آثار السيئات.

وقيل: (نقيم): دائبين على ثنائه وشكره، راجين إطالة أعمارنا بالتزام شكره والدوام على حمده فيه، لنلتقي بذلك مع أهل الطاعة والتقوى من عباده ونكون ممن يتسابق إلى طلب مرضاته ونيل مغفرته.

وفي الحديث أن جبرئيل عليه السلام سمع إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام يقول:

«يا كريم العفو، فقال: أتدري يا إبراهيم ما كرم عفوه، قال: لا يا جبرئيل، فقال: إن عفا عن السيئة كتبها حسنة».[1]

وقيل: (ونسب به من سبق إلى رضاه) أي بسبب هذا الحمد ـ المذكور سابقا ـ تعالى أي نكون سابقا على من سبق، لأن حمدنا أكثر من حمدهم فنكون أسبق على نيل رضاه.

ولا يخفى أن هذا إنشاء لبيان قدر ما ينطوي عليه الحامد من حب الله ومدحه، فلا يلزم السبق في الخارج حتى يقال: كيف يسبق الإنسان الأنبياء ومن إليهم؟

(وعفوه) بأن يعفو عنا ذنوبنا بسبب حمدنا له.[2]

وقيل: قد يتوهم أن هذا إسراف في الدعاء، فإن السابقين هم الأنبياء والأئمة عليهم السلام، ويمكن التقصي إما بأن يقصد الداعي في أمثاله في الرتبة، أو يكون هذا من قبيل الإنشاء لا الإخبار.[3]

وقيل سبق يسبق: من باب (ضرب) و(قتل) تقدّم. والمراد به هنا التقدّم في الشرف والفضل، بأن يكون حمده اشرف وأفضل من حمد غيره فيتقدّم به من تقدّم إلى رضاه وعفوه.

وفي الكلام إستعارة مكنيّة تخييليّة، شبّه الرّضا والعفو بالغاية التي يتسابق إليها، وذكر السّبق الذي هو من لوازن المشبّه به.

والرّضا: في الإنسان حالة للنّفس توجب تغيّرها وإنبساطها لإيصال النّفع إلى الغير، أو الانقياد لحكمه، ورضاه تعالى عبارة عن ثوابه.

كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «رضاه ثوابه وسخطه عقابه».

وقيل رضاه: إرادة الثّواب، وسخطه: إرادة العقاب.

وقال بعض المحقّقين من علمائنا المتأخرين: لرضاه تعالى مراتب، فمنها رضا أزلي: هو عين ذاته، لا يقابله سخط، ولا يمازجه شوب، وهو كونه بحيث تصدر عنه الأشياء موافقة لعلمه بها على أفضل وجه وأتمّه.

ومنها ملك مقدّس روحاني: هو رضوان الله بالفعل، إذ وجوده عين الرضا من الله سبحانه، وكذا كلّ جوهر عقلي ولا يشوبه شرّ ومعصية، إذا كان فعله طاعة الله.

ومنها: ثواب الله والجنة، ويقابله سخطه والنار؛ والعفو: محو الذنوب، من عفت الريح المنزل إذا درسته.

وإنما بدر بالرّضا مع إنّ حصوله بعد العفو إهتماماً بشأنه وتنويهاً بمقامه.

فالوجه في تقديمه ما تقدّم من الاهتمام، أو جعله من باب التتميم لا الترقّي كأنّه قال: إن لم نسبق من سبق إلى رضاه فمن سبق إلى عفوه.

ويناسبه ما في الدّعاء: (إن لم ترض عني فاعف عنّي)، وقد يعفو السيد عن عبده وليس براض عنه، والله أعلم.[4]

وقال الشاعر عبد المنعم الفرطوسي:

خَيْرَ حَمْدٍ لِلْعَفْوِ نَسْبِقُ فيه
وَالرِّضَا مِنْهُ سَابِقُ الصُّلَحاءِ[5]

---

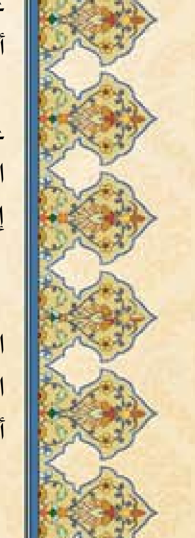
(١) بحوث في الصحيفة السجادية للشيخ صالح الطائي: ص٢٠ ـ ٢١.

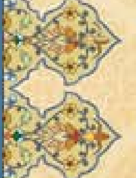
(٢) شرح الصحيفة السجادية للسيد محمد الشيرازي قدس سره: ص٢٠.

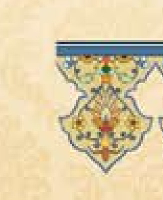
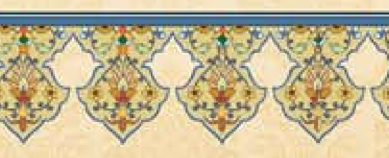
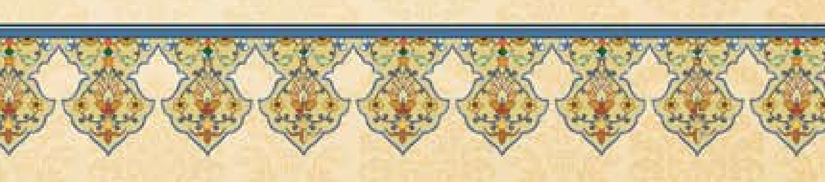
(٣) نور الأبصار في شرح الصحيفة السجادية للسيد الجزائري : ص٣٧.

(٤) رياض السالكين للسيد علي خان الحسيني المدني: ج١، ص٣٢٧ ـ ٣٣٠.

(٥) الصحيفة السجادية بنظم الشيخ عبد المنعم الفرطوسي: ص٢٣.






تغير وسترى من يتغير

قال الله تعالى:

((..إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ...)).

وقال الله عزّ وجل:

((ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ...)).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيها الناس، إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىءٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

قال الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام: «النية أساس العمل».

فهذه حقيقة برهانية تقرر أن الإنسان كغيره من الأنواع مرتبط الوجود بسائر أجزاء الكوت المحيط به، ولأعماله في مسيرة حياته وسلوكه على منزل السعادة ارتباط بغيره، فإن صلحت للكون صلحت أجزاء الكون له وفتحت له بركات السماء، وإن فسدت للكون، وقابله الكون بالفساد، فإن رجع على الصلاح فبها، وإلاّ جرى على فساده.[1]

فهناك ثلاثة مقومات للشخص لكي يتغير وهي:

١. أن يعرف كيفية التغيير.

٢. أن تكون لديه الرغبة في التغيير.

٣. أن لا يكون هناك شيء يمنعه من التغيير.

فإذا لم يكن يرغب في التغيير فهذه المشكلة ترتبط بالدوافع الشخصية، وإذا كان هناك ما يمنعه من التغيير فهذه المشكلة تتعلق بالنظام الذي يعيش فيه.

ونجد في سيرة ابن هشام في قصة استماع قريش إلى قراءة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، حيث (جاء الأخنس أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف.

أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذا؟! والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه...).[2]

وهنا نجد الدافع الذاتي والتنكر للحقيقة يؤدي إلى الهلاك كما هو واضح في المثال.

(لكي أغير من حولي يجب أن أتغير أنا أولاً).

وهذا التغيير لا يكون إلا إذا تغيرت النية، والنية هي الصورة الكاملة للعمل، والفصل المحصّل له، وصحة العمل وفساده، وكماله ونقصه مرتبطة بالنية، والنية السليمة هي صاحبة الدور الفعال لتغيير النفس.

قال الله تبارك وتعالى:

((قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا)).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: (قل كل يعمل على شاكلته) قال: نيته.[3]

وكذلك قوة الشخصية لها دور كبير في التأثير والتغيير، إن قوة الشخصية تتطلب الابتعاد عن كل أنواع الإسفاف، فالمهنة، والموقع الاجتماعي، والأصدقاء، كل ذلك له التأثير الكبير على شخصية الإنسان.

فكلما كانت تلك المؤثرات عالية كانت شخصية صاحبها مثلها... والعكس بالعكس.

ولكي تغيّر من حولك لابد أن تكون راسخ القدم في الحياة، إن الشخص الذي يبرز بين الجمهور يبرهن أنه يملك مجموعته الخاصة من القيم وحساً قوياً باحترام الذات.

وفيما رياح الأفكار المتصارعة تعصف ببعض الناس، وتيارات مختلف البدع تجرف

البعض الآخر، يظل هو راسخ القدم، وهذا هو الجزء الأكبر من مقوّمات الشخصية.

والتغيير عند الإنسان المسلم يكمن في نقاط:

١ ـ تثقيف النفس وذلك بتنويرها بالمعرفة الإلهية والعقيدة الحقّة، وتزويدها بالمعارف النافعة التي تنير للإنسان سبل الهداية وتوجيه وجهة الخير والسداد، وهذه هي أسمى غايات النفس.

٢ ـ إصلاح السريرة: للإنسان صورتان، صورة ظاهرية تتمثّل في إطار جسده المادي، وصورة باطنية تتمثل فيها خصائصه النفسية وسجاياه الخلقية.

وكما تكون الصورة الظاهرية هدفاً للمدح أو الذم، ومدعاة للحب أو الكره نظراً لصفاتها الجميلة أو القبيحة، كذلك الصورة الباطنية يعروها المدح والذم، وتبعث على الإعجاب أو الاستنكار، تبعاً لما تتسم به من طيبة أو خبث، من تلألؤ أو ظلام.

وكما يهتم العقلاء بتجميل صورهم المادية وإظهارها بالمظهر اللائق الجذّاب كذلك يجدون الاهتمام بتجميل صورهم الباطنية وتزيينها بالطيبة وصفاء السريرة وجمال الخلق، فتغدو مضاءة مشعّة بألوان الخير والجمال، وذلك بتطهيرها من أضرار الرياء والنفاق والحسد والمكر ونحوها من السجايا الهابطة المقيتة.

٣ ـ ضبط النفس: وقد حثّ القرآن الكريم على ضبط النفس، والحدّ من جماحها وتوجيهها شطر الخير والصلاح.

٤ ـ محاسبة النفس: والمراد منها هو محاسبة النفس في كلّ يوم عما عملته من الطاعات والمعاصي والموازنة بينهما، فإن رجحت كفّة الطاعات، شكر المحاسب الله على توفيقه لها.

أي إن التغيير يمكن الحصول عليه عن طريق الالتزام بمبادئ الإسلام التي وضعها الله عزّ وجل عن طريق الرسالة التي بشّر بها الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، مع العمل والمثابرة مصحوبة بالأمل والتوفيق من الله سبحانه وتعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الأمل رحمة لأمتي ولولا الأمل ما أرضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجراً».

قال الإمام الباقر عليه السلام: «لا نعمة كالعافية، ولا عافية كمساعدة التوفيق».

أي الممكن شيء سهل ويمكن أن نحصل عليه، بمعنى إذا كان شيء ممكنا في هذا العالم فإنه ممكن لي بشرط تغيير النفس أو الشخصية للأحسن وعمل الخير، ولكن تنقصنا مقومات الشخصية التي تحفز للإنجاز وهي:

١. لا تنسى هدفك الأسمى، ونقصد ذلك الهدف الأعلى الذي يسمو فوق المصالح المادية والغايات الدنيوية، ولا يواجه المسلم مشكلة في تحديد الهدف الأكبر في وجوده، ولكن الأزمة تكمن في الغرق في تفاصيل الحياة وتعقيداتها، وبالتالي يصبح إحساسنا وشعورنا للهدف الخلاق الأسمى ضعيفاً رتيباً، مما يجعل توليده للطاقة التغييرية لا تصل إلى المستوى المجدي لتحفيز الذات.

٢. القناعة بضرورة التغيير، يظن كثير من الناس أن وضعه الحالي جيد ومقبول أو أنه ليس الأسوأ على كل حال، وبعضهم يعتقد أن ظروفه سيئة وإمكاناته محدودة، ولذلك فإن ما هو فيه لا يمكن تغييره، والحقيقة أن المرء حين يتطلع إلى التفوق على ذاته والتغلب على الصعاب من أمامه سوف يجد أن إمكانات التحصين أمامه مفتوحة مهما كانت ظروفه.

٣. الشعور بالمسؤولية، حين يشعر الإنسان بجسامة الأمانة، المنوطة به تنفتح له آفاق لا حدود لها للمبادرة للقيام بشيء ما، يجب أن يضع نصب عينيه اللحظة التي يقف فيها بين يدي الله عزّ وجل، فيسأله عما كان يفعل في دار الممر.

٤. الإرادة الصلبة والعزيمة القوية، وهي شرط لكل تغيير، بل وشرط لكل ثبات واستقامة، وهكذا فإن تنمية الشخصية ما هي إلا استمرار في اكتساب عادات جديدة حميدة وتخلية من صفات مذمومة.

لابد أن نتذكر أن الشيء الممكن في هذا العالم يكون تحت عامل الأفكار فكلما كانت الأفكار سليمة كانت الإيجابيات ناجحة، ولا تتوقع أنه بمجرد أنّ شيئا ممكنا في هذا العالم فإنه ممكن لك إلا أن تعلن عن هدفك.

والتخطيط ليس كل شيء، فسبيلك مليء بالعوائق ولا غنى لك عن الصبر والمثابرة والعناء حتى تتغلب عليها، وإذا ما أعلنت هدفك صريحاً مدوياً فلا تتوقع من غيرك إلا النقص أو الانتقاص من ذكائك وقدراتك، فلا تتردد في استغلال هذه السلبيات في صالحك وتحويل ألمك إلى طاقة تضمن لك الاستمرار واعتبر أنه كلما زاد الاعتراض على هدفك كلما كان تحقيقه رائعاً، فالخوف من الفشل مدمر لأرقى الخطط، وتقبل الهزيمة كجزء من خطتك فكثيراً ما يسبق النجاح سلسلة من التجارب الفاشلة وليس الفاشل من يخطئ بل من لم يقدر أن يستفيد من تجربة فشله، فاجعل الأمل ممكناً لك بقربك إلى الله تعالى.

(إنّ الإخلاص هو سيّد الصفات الفاضلة، لأنه يدعو إلى باقي الصفات لأن الذي يخلص لله يريد ما أراده الله، والله قد أراد من عبده الصفات الفاضلة).[٤]

---

(١) الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي: ج٨، ص١٩٦.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ج١، ص٢٠٨.

(٣) الكافي للكليني: ج٢، ص٨٥، ح٥.

(٤) فرضية أهل البيت عليهم السلام بين الأساسية والبرمجية اللغوية العصبية، تأليف: ملا حبيب ابن الحاج علي.

المصادر: ـ تهذيب البرمجة اللغوية العصبية، تأليف: د. ميثم سعيد السلمان، تحقيق: موسى حسين صفوان.

ـ الهندسة النفسية، إعداد: أماني طعمة.

ـ برمجة العقل، تأليف: شوقي سليم حمّاد.

هل إني مرضيّ عند اللّه تعالى ورسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرين عليهم السلام؟

كتب آية اللّه العظمى السيد صادق الشيرازي في كتابه عشاق الإمام المهدي عليه السلام أنه:

نقل لي أحد المؤمنين عن السيد جعفر بحر العلوم، أنه كان يوماً في بيت السيد حسين بحر العلوم، نجل آية اللّه السيد علي بحر العلوم، صاحب كتاب (برهان الفقه)، وكان سماحته في ديوانه يستقبل الوفود والمراجعين، وكان من بين المراجعين الذين وفدوا عليه مروّض مسلم من الهند، وبعد أن استقر به المجلس وعرّف نفسه لسماحته، قال: بإمكاني أن أخبركم عن كل ما تسألون بالقلم والقرطاس.

وبالفعل كان يجيب بصواب على الأسئلة العادية التي طرحت عليه من الحاضرين، وذلك وفق حسابات رياضية كان يحرّرها على الورق.

حينذاك أقبل سماحته عليه، وقال: هناك سؤال أظنّك لا تقدر من الجواب عليه.

قال المروّض: وما هو؟ قال سماحته: إنّه صعب وخارج عن وسعك.

قال المروّض: وليكن صعباً فأنا أحاول الإجابة عنه، فما هو؟

قال سماحته: الآن وقد أصررت فأخبرنا عن المكان الذي يتواجد فيه سيّدنا ومولانا، ومن بوجوده استقرت الأرض ورزق الخلق، الحجة بن الحسن العسكري عليهما السلام.

قال المروّض: نعم، وبدأ يبحث عن الجواب من خلال حساباته الرياضية المعقدة، لكنّه ولأوّل مرّة أبطأ في الجواب مما دعا سماحته إلى أن يقول له: ألم أقل لك إنّك لا تقدر على الإجابة عن هذا السؤال؟

فأجاب: اصبروا قليلاً لعلي أهتدي إلى الجواب، ثمّ بعد مدّة قال: ليس الأمر كما تظنّ، ولكن أفكّر في أنّ الشيخ طه نجف من هو؟

أجاب سماحته: إنّ الشيخ محمد طه نجف، أحد مراجع التقليد المعروفين عندنا في النجف الأشرف.

قال المروّض: الذي تسألون عنه هو الآن في بيت الشيخ وعنده، وهنا أسرع سماحته بصحبة السد جعفر ونفر آخرين متجهين نحو بيت المرجع آية اللّه الشيخ محمد طه نجف، وفي الطريق انتهوا إلى مفترق طرق ثلاثة، ينتهي أحدها إلى بيت الشيخ، حتى التقوا هناك بإنسان في الزي العراقي يرتدي العباءة والعقال والكوفية، وعليه الوقار والسكينة، وتطفح من جوانبه هيبة وعزّ، فاجتازوه نحو بيت الشيخ، وما إن دخلوه إلاّ ورأوا ديوان الشيخ مصفراً من الناس، حتى الذي يستقبل المراجعين ويقدّم لهم الماء والقهوة، لكنّ الذي فاجأهم بالمرة هو جلوس الشيخ في ناحية من الحجرة، جلسة الحزين، ينبعث منه أنين وزفير، تتساقط قطرات الدموع على كريمته، وهو يتمتم قائلاً: صار في يدي، فلم انتبه له، ولما انتبهت كان قد فلت من يدي.

فتعجب الواردون كثيراً، وتساءلوا - بعد التحية والسلام - علام يبكي الشيخ؟ فلم يلتفت لقدومهم إلا بعد التحية والسلام فقام ورحّب بهم جلس إليهم يحدّثهم بالحادث الذي تركه حزيناً، يكفكف دموعه ويخفي لوعته قائلاً: إنكم تعلمون برجوع الناس إليّ في مسائلهم واستفتاءاتهم وخصوماتهم، وأنا أجيبهم وأفتي لهم، وأفصل بينهم، وآخذ الأموال وأعطيها وأنصب القيّم والمتولّي ونحو ذلك.

كل ذلك بتحرّ واجتهاد، ليوافق الشرع الشريف، غير أنه منذ سنوات، أخذت تعتريني فكرة: هل إنّي مصيب في كل ما أتيت وما قضيت، وأزاول وأعمل، وهل إني مرضيّ عند اللّه ورسوله والأئمة الطاهرين عليهم السلام؟

وقبل ثلاث سنوات استشفعت إلى اللّه بمولاي أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك وطلبت منه بإلحاح أن أجد في نفسي صواب أو خطأ هذه الأعمال والأخطاء عن قصور أو تقصير.

فلما اشتد إصراري وتوصلي رأيت ذات ليلة في المنام مولاي أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرني: إن ما أريده سيتم عند ولده المهدي صاحب العصر والزمان عليه السلام فبقيت أرقب الأيام والليالي، انتظر قدوم الحبيب في كل آن ولحظة، ولم أحسب أن سأحصل عليه وأعرفه وفي هذا اليوم بالذات وقبل مجيئكم بقليل خلا الديوان من المراجعين وكان خادمنا قد ذهب ليهيئ بعض لوازم البيت.

فدخل رجل كانت تدل لهجته على أنه من العشائر العراقية، فسألني بعد السلام عن مسألة فأجبت عنها، فأشكل عليه إشكالاً علميّاً، وحاولت الإجابة عن الإشكال، غير أنه قاطعني - وهو عالم بمغزى جوابي كله - بإشكال ثان وبدأت أجيب عن الإشكال الثاني فقاطعني للمرة الثانية بإشكال علمي ثالث، وهكذا كلما بدأت في الجواب بادرني بإشكال علمي آخر، حتى خالجتني أفكار متناقضة حول الرجل وفضله، وإنه كيف يمكن التوفيق بين معرفة هذه المباحث الدقيقة، وبين ظاهر رجل عشائري، بعيد كل البعد عن هذه المباحث العلمية.

لكن غفلة عميقة خيّمت على ذهني، وأنستني ما كنت بانتظاره وترقّبه من التشرّف بلقاء الحبيب.

واستمرت غفلتي عن حاجتي، ولم أنتبه حتى مع ضرب الرجل يده على كتفي وقوله لي: (أنت مرضيٌّ عندنا) وزاد استغرابي من أن رجلاً يدلّ صوته على أنه من أهل البادية كيف يقول هذه الكلمة لمرجع تقليد؟

وفجأة بعد مغادرته الديوان، انكشفت غفلتي، وعاودتني فطنتي، وتذكرت أملي وأمنيتي فطالما كنت أفكّر بها، وأرجو التصرف في حالي وموقفي عند ربّي ونبيّي وأئمتي عليهم السلام وقد أخبرني الرجل عن ذلك بقوله (أنت مرضيّ عندنا) ولم أنتبه.

إنه الحبيب الذي جنّدت نفسي لنصرته وصرفت عمري لخدمته حتى دخل عندي، فيا أسفي على نفسي، فقد صار عندي وبمرأى مني فلم انتبه له، لأتزوّد منه ومن نوره وبركاته، ولما انتبهت كان قد خرج عن وسعي، أليس حقيقاً لمثلي أن يئن ويبكي؟

فقال السيد بحر العلوم للشيخ: (شيخنا لهذا جئناك) واحتملوا أن يكون الرجل ذو المهابة الوقور الذي رأوه قريباً من بيت الشيخ هو سيدنا ومولانا صاحب العصر (عجل اللّه تعالى فرجه وجعلنا من أنصاره وأعوانه والمرضيّين عنده بمحمد وآله الطاهرين).(1)

المصدر: قصص وخواطر للشيخ عبد العظيم المهتدي البحراني: ص٢٥٩ - ٢٦٠.


السلام على المعذب فــي قعـــر السجــون
وظلم المطامير ذي الساق المرضوض بحلق القيود

صدر حديثاً

صدر حديثاً عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة الكتاب الموسوم بـ (مـن وُلدَ في بيـت اللّه الحرام؛ علـي ابن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟) للسيد نبيل الحسني.

